

## سمر يحيى

ستون عامًا من الحب

**بيد** مجعدة مرتعشة أمسك قلمًا منقوش عليه حرف حبيبته وبدأ  
يخط بداية قصة حبه الوردية على أوراق صفراء:

رأيتها أول مرة في الشارع المؤدي إلى عملي، كنت أقضي استراحة  
الغداء، أجلس وحيدًا بجانب نافذة المطعم الذي يقع في نفس  
الشارع، نظري شارد وتدور في ذهني مئات المهام التي يجب إنهاؤها قبل  
نهاية الدوام، بيدي كوب القهوة التي تساعدني لأكمل يومي بذهن  
يقظ قدر الإمكان، حينها؛ ناداني صوت أتى من أعماقي: أفق.... انظر  
نحو الأفق، كانت تقف على الجهة المقابلة من الشارع، وقعت عيناها  
عليها حين رفعت هي عينها إلي، طالت الثانية لتصبح دقيقة كاملة  
حفظت خلالها عدد رموش عينها، وسرى داخلي شعور بالاكتمال،  
تمامًا كالتروس حين تتداخل أسنانها فيما بينها بانسجام فتمتلئ  
الفراغات بينها تمام الامتلاء، وكالمفتاح الوحيد لقفل لم يمس من  
قبل؛ فتحت هي قلبي ودخلت، وأغلقت الباب وراءها، فشغلت كل  
ركن بداخله.

أفقت من سحرها، أنهيت قهوتي وعدت سائرًا إلى عملي حائرًا مغرمًا،  
تغير العالم من حولي، أصبح أكثر إشراقًا، وأينعت الزهور على جانبي  
الطريق ونشرت عبيرها في الأجواء، وفجأة أصبحت أميز غناء الطيور  
من بين الأصوات، وحين وصلت، سألت زميلي: ماذا حدث؟ لماذا  
لبست الدنيا زينتها؟ أهو يوم عيد؟ لكنه لم يرد، لم يكن منتبهًا فهو  
مشغول بإنهاء ما بيده، نظرت حولي، الكل نشيط، يتحرك كنجلة هنا  
وهناك، لا وقت لرمشة عين أو حكة جلد، فالوقت يجري حتى  
اللاهات، وساعتي تمشي عقاربها سلحفاة.

هذه كانت أول رؤية لي لحبيبتى التي دبر ملاك سماوي لالتقائنا مرة أخرى فالتقينا، ثم أصبحت فيما بعد زوجتي، معها كان أول عهد لي بالحب، ويوم رأيتها كان أول يوم أومن فيه بالحب من النظرة الأولى، وبداية اعتناقي لدين الحب الأبدي، وأول شرارة لنار حب استمرت شعلتها ستين عامًا تتغذى على شعائر هذا الدين التي أؤديها بشغف يومًا بعد يوم.

أما اليوم، فقد عادت الحياة لهبتها، وأفلت الشمس وأبت أن تشرق مرة أخرى، وضمت الأزهار أوراقها إلى قلبها، حتى الطيور تقف على شباكي تعزف أحزن الألحان وتشد كلمات الفقدان، ودموعي تأبى السقوط، فهي إن سقطت فلن تتوقف أبدًا ولن تجف، يلزمني ستون عامًا أخرى من البكاء حتى أستطيع أن أنسى.. إن استطعت، وكم تبقى في العمر من سنين؟ أرجو أن تكون أيامًا فحسب، بل ساعات معدودة، فقد شاخ جسدي وذبلت روحي، وقلبي الذي انتزعت هي نصفه ورحلت لا يقوى على الحياة ولا يحتمل البقاء وحيدًا، وليس يكمله غير نصفه الآخر، نصفه الآخر الذي انتقل بالأمس إلى عالم أرجو أن يكون أجمل.

أشعر بتناقص عداد نبضات قلبي وبتباطؤ أنفاسي، وبقرب بداية حياتي الجديدة هناك، حيث زوجتي، وحيث يفى دين الحب بوعده لي: بالأبدية.

وضع القلم، وأراح رأسه على مسند كرسيه الدافئ الوثير، ثقلت جفونه وأغلقت عيناه، وارتسمت ابتسامة راحة على وجهه.